

## سورة الروم

هى مكية لإقوله تعالى : « وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ » فمدنية ، وعدة آيها ستون ، نزلت بعد سورة الانشقاق .

ومناسبتها ما قبلها من وجوه :

(١) إن السورة السابقة قد بدئت بالجهاد وختمت به ، فافتتحت بأن الناس لم يخلقوا فى الأرض ليناموا على مهاد الراحة ، بل خلقوا ليجاهدوا حتى يلاقوا ربهم ، وأنهم يلاقون شتى المصاعب من الأهل والأئمة التى يكونون فيها ، وهذه السورة قد بدئت بما يتضمن نصرة المؤمنين ودفع شماتة أعدائهم المشركين ، وهم يجاهدون فى الله ولوجهه ، فكان هذه متممة لما قبلها من هذه الجهة .

(٢) إن ما فى هذه السورة من الحجج على التوحيد والنظر فى الآفاق والأنفس مفصل لما جاء منه مجمل فى السورة السالفة ، إذ قال فى السالفة : « فَأَنْظُرْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ » الخ ، وهنا بين ذلك ، فقال : « أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ » الخ ، وقال : « اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ » الخ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآم (١) غَلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) .

## شرح المفردات

الروم : أمة عظيمة من ولد روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم ، كذا قال النسابون من العرب ، أدنى الأرض : أى أقربها من الروم ، والأقربية بالنظر إلى أهل مكة الذين يساق إليهم الحديث ، والبضع : ما بين الثلاث إلى العشر ، وقال : المبرد ما بين العقدين فى جميع الأعداد ، ظاهر الحياة الدنيا : هو ما يشاهدونه من زخارفها ولذاتها الموافقة لشهواتهم التى تستدعى انهما كهم فيها وعكوفهم عليها .

## المعنى الجملى

روى أن فارس غزوا الروم ، فوافوهم بأذرعَات وبُصْرَى من أرض الشام ، فغلبوا عليهم ، وبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو بمكة ، فشق عليهم من قبَل أن الفرس مجوس ، والروم أهل كتاب وفرح المشركون بمكة وشمتموا ، ولقوا أصحاب النبى وهم فرحون ، وقالوا : إنكم أهل كتاب ، والنصارى أهل كتاب ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنَّ عليكم ، فأُنزل الله هؤلاء الآيات ، فخرج أبو بكر رضى الله عنه إلى المشركين فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ولا يقرنَّ الله أعيُنكم ( لايسرنكم ) فوالله لتظهرنَّ الروم على فارس كما أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام إليه أبى بن خلف ؛ فقال : كذبت ، فقال : أنت أ كذبت يا عدو الله ، اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه ( أراهنك ) على عشر قلائص منى ، وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت ، وإن ظهرت فارس غرمتُ إلى ثلاث سنين ، ففاحبه ، ثم جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال عليه السلام : زائده فى الخطر ومادّه فى الأجل ، فخرج أبو بكر ، فلقى أبيبا ، فقال : لعلك ندمت ، فقال : لا ، تعال أزيدك فى الخطر ، وأمادك فى الأجل ، فاجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين ، قال : قد فعلتُ ، فلما أراد أبو بكر الهجرة طلب منه أبى كفيلا بالخطر إن غلب ،

فكفل به ابنه عبد الرحمن ، فلما أراد أبى الخروج إلى أُحُد طلبه عبد الرحمن بالكفيل فأعطاه كفيلًا ، ومات أبى من جرح جرّحه إياه النبي صلى الله عليه وسلم في الموقعة وظهرت الروم على فارس لما دخلت السنة السابعة ، فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبى وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : تصدق به ( وقد كان هذا قبل تحريم القمار كما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي ، لأن السورة مكية وتحريم الخمر والميسر بالمدينة ) .

### الإيضاح

( ألم ) تقدم في السورة قبلها ما فيه الكفاية من الكلام في أمثال هذه الحروف في أوائل السور ، وقد بينا هناك أنه ينطق بأسمائها فيقال ( ألف . لام . ميم ) . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين ) أى غلبت فارس الروم في أقرب أرض الروم بالنسبة إلى بلاد العرب ، إذ الموقعة كانت بين الأردن وفلسطين ، والروم من بعد غلب فارس بإيهم سيغلبون فارس في بضع سنين ، وقد تحقق ذلك فغلبوهم بعد سبع من الموقعة الأولى . ولا شك أن وقوعه على نحو ما قال الكتاب الكريم يعد من أكبر الدلائل على إعجازه ، وأنه كلام الله العليم بكل شيء لا كلام البشر .

( لله الأمر من قبل ومن بعد ) أى لله الأمر من قبل غلب دولة الروم على فارس ومن بعدها ، فمن غلب فهو بأمر الله وقضائه وقدره كما قال : « وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ » فهو يقضى في خلقه بما يشاء ويحكم بما يريد ، ويظهر من شاء منهم على من أحب إظهاره عليه .

( ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ) أى ويوم تغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بنصر الله وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له ، وغيظ من شتموا من كفار مكة ، وأنه سيكون فألا حسنا لغلبة المؤمنين على الكافرين .

ثم أكد قوله لله الأمر بقوله :

(ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) أى ينصر من يشاء أن ينصره على عدوه ويغلبه عليه على مقتضى السنن التى وضعها فى الخليقة ، وهو المنتقم ممن يستحقون الانتقام بالنصر عليهم ، الرحيم بعباده فلا يعاجلهم بالانتقام على ذنوبهم كما قال : «وَلَوْ يُوَأْخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبَةٍ وَ لَسَكُنَ يَوْخَرُهُمْ لَى أَجَلٍ مُّسَمًّى » .

(وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس ، والله لا يخلف ما وعد ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك لجهلهم بشئونه تعالى وعدم تفكيرهم فى النواميس والسنن التى وضعها فى السكون ، فإنه قد جعل من تلك السنن أن وعده لا يخلف ، فإنه مبني على مقدمات ووسائل هو يعملها ، وقد رتب عليها تلك العدة التى وعدها ، وجعل قانون الغلب فى الأمم والأفراد مبنيا على الاستعداد النفسى والاستعداد الحربى ؛ فلا تغلب أمة خرى إلا بما أعدت لها من وسائل الظفر بها ، وما كان لها من صفات تكفل لها هذا الظفر من أناة وصبر وتضحية بما تملك من عزيز لديها من مال أو نفس .

وهكذا حكم الفرد فهو لا ينبجح فى الحياة إلا إذا كان معه أسلحة يغالب بها عوامل الأيام حتى يغلب عليها بجده وكده ، فهذه الأمور وأشباهها تحتاج إلى دقة نظر لا يدركها إلا ذوو البصائر .

(يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) كتدبير معاشهم ، وإحسان مساكنتهم ، وتتمية متاجرهم ، وتصرفهم فى مزارعهم ، على النحو الذى يجعلها تزدهر وتقى بحاجة المجتمع . (وهم عن الآخرة هم غافلون) أى وهم غافلون عن أن النفوس لها بقاء بعد الموت وأنها ستلبس ثوبا آخر فى حياة أخرى ، وستنال إذ ذاك جزاء ما قدمت من خير أو شر ، ولو لم تكن النفوس تتوقع هذه الحياة لكانت آلام الدنيا ومتاعها لانطاق

ولا تجد النفوس لاحتمالها سبيلا ، وهى ما قبلت تلك الآلام واحتملتها إلا لأنها توقن  
بسعادة أخرى وراء ما تقاسى من المتاعب فى هذه الحياة ، والله در القائل :

ومن البلية أن ترى لك صاحبا فى صورة الرجل السميع المبصر  
فطن بكل مصيبة فى ماله وإذا يصاب بدينه لم يشعر

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَآخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ  
لَكَافِرُونَ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ  
مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا  
عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا  
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ آسَأَوْا السُّوءِ أَن كَذَّبُوا  
بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)

### المعنى الجملى

لما أنكر المشركون الإله بانكار وعده وأنكروا البعث كما قال وعم عن الآخرة  
هم غافلون - أردف هذا بأن الأدلة متظاهرة فى الأنفس والآفات على وجوده وتفرده  
بخلقها ، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه وأنها لم تخلق سدى ولا باطلا ، بل خلقت  
بالحق وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى هو يوم القيامة ، ثم أمرهم بالسير فى أقطار الأرض  
ليعلموا حال المكذبين من الأمم قبلهم ، وقد كانوا أشد منهم بأسا وقوة ، فكذبوا  
رسولهم فأهلكهم الله وصاروا كأمس الدابر والمثل الغابر ، وما كان ذلك إلا بظلمهم  
وفساد أنفسهم لا بظلم الله لهم .

## الإيضاح

(أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى؟) أى أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بالبعث من قومك فى خلق الله إياهم وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئاً ، ثم صرفهم أحوالاً وتارات حتى صاروا رجلاً ، فيعلموا أن الذى فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فناءهم خلقاً جديداً ، ثم يجازى المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته ، لا يظلم أحداً منهم فيعاقبه بدون جرم صدر منه ، ولا يحرم أحداً منهم جزاء عمله ، لأنه العدل الذى لا يجرى ، فهو ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالعدل وإقامة الحق إلى أجل مؤقت مسمى ، فإذا حل الأجل أفنى ذلك كله وبدل الأرض غير الأرض وبرزوا للحساب جميعاً .

ثم ذكر أن كثيراً من الناس غفلوا عن الآخرة وما فيها من حساب وجزاء فقال :

(وإن كثيراً من الناس بقاء ربهم لكافرون) لأنهم لم يتفكروا فى أنفسهم ولو تفكروا فيها ودرسوا عجائبها لأيقنوا بقاء ربهم وأن معادهم إليه بعد فناءهم . ثم نبههم إلى صدق رسله فيما جاءوا به عنه بما أيدهم به من المعجزات والدلائل الواضحة من إهلاك من جحد نبوتهم ونجاة من صدقهم فقال :

(أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، وجاءتهم رسالهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى أولم يسر هؤلاء المكذبون بالله الغافلون عن الآخرة فى البلاد التى يسلكونها تجرأ ، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذبة ، كيف كان عاقبة أمرها فى تكذيبها رسالها ، وقد كانوا أشد منهم قوة وحرثوا الأرض وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء ثم أهلكتهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسله ، وما كان الله بظالم لهم بمقابه إياهم على تكذيبهم رسله وخذودهم آياته ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم ربهم .

والخلاصة — إنه قد كان لكم فيمن قبلكم من الأمم معتبر ومزدجر ، فقد كانوا أكثر منكم أموالا وأولادا ومُكَّنوا في الدنيا تمكينا لم تبلغوا معشاره ، وعمرُوا فيها أعمارا طوالا واستغلواها أكثر من استغلالكم ، ولما جاءتهم الرسل بالبينات كذبوهم وفرحوا بما أوتوا فأخذوا بذنوبهم ولم تنغن عنهم أموالهم شيئا ولم تحل بينهم وبين بأس الله .

ثم أكد ما سلف بقوله :

(ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) أى ثم كان العذاب عاقبتهم ، أما فى الدنيا فلمهم اليوار والهلاك ، وأما فى الآخرة فالنار لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ، وما ذاك إلا لأن كذبوا بحجج الله وآياته وهم أنبياءؤه ورسله ، وسخروا منهم عنتا وكبرا .

اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦) .

### شرح المفردات

يبلس المجرمون : أى يسكتون وتنقطع حجبتهم ، الروضة : الأرض ذات النبات والماء ؛ ويقال أراض الوادى واستراض : إذا كثر ماؤه ، وأراض القوم : أرواهم بعض لرى ، يحبرون : يسرون ، يقال حبره يحبره (بالضم) حبرا وحبورا : إذا سره سرورا تهمل له

وجبه وظهر فيه أثره ، وفي المثل : امتلأت بيوتهم حجارة ، فهم ينتظرون العبرة ، محضرون : أى مدخلون فيه لا يغيبون عنه .

## المعنى الجملى

بعد أن بين أن عاقبة المجرمين النار وكان ذلك يستلزم الإعادة والحشر لم يتركه دعوى بلا بينة ، بل أقام عليه الدليل بأن أبان أن من خلق الخلق بقدرته وإرادته لا يعجز عن رجوعه ، ثم بين ما يكون حين الرجوع من إفلاس المجرمين وتحقيق بأسهم وحيرتهم ، إذ لا تنفعهم شركاؤهم ، بل هم يكفرون بهم ، ثم ذكر أن الناس حينئذ فريقان : فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، فالأولون يتمتعون بسرور وحبور ، والآخرون يصلون النار دأ بال لا يغيبون عنها أبدا .

## الإيضاح

( الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ) أى الله ينشئ جميع الخلق بقدرته وهو منفرد بإنشائه من غير شريك ولا ظهير ، ثم يعيده خلقا جديدا بعد إفناؤه وإعدامه كما بدأه خلقا سويا ولم يك شيئا ، ثم إليه يردون فيحشرون لفصل القضاء بينهم ، فيجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا الحسنى .

ثم بين ما سيحدث فى هذا اليوم من الأهوال للأشقياء والنعيم والخبور للسعداء ، فقال :

( ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ) أى ويوم تجيء الساعة التى فيها يفصل الله بين خلقه بعد نشرهم من قبورهم وحشرهم إلى موقف الحساب - يسكت الذين أشركوا بالله واجترأوا فى الدنيا مساوى الأعمال ، إذ لا يجدون حجة يدفعون بها عن أنفسهم ما يحمل بهم من النكال والوبال .

ولما كان الساكت قد يفنيه غيره عن الكلام نفي ذلك بقوله :



فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ  
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩).

### المعنى الجملى

بعد أن بين سبحانه جالى الفريقين المؤمنين الذين يعملون الصالحات ،  
والكافرين المكذبين بالآيات ، وما أعد لكل منهما من الثواب والعقاب - أرشد إلى  
ما يفضى إلى الحال الأولى وينجى من الثانية ، وهو تنزيه الله عز وجل عن كل  
مالا يليق به ، وحمده ، والثناء عليه بما هو أهل له من صفات الجلال والكمال .

ولما كان الإنسان حين الإصباح يخرج من حال النوم التى هى أشبه بالموت منها  
إلى اليقظة وكأنها حياة بعد موت - أتبع ذلك بذكر الموت والحياة حقيقة .

### الإيضاح

( فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ) أى تزهو الله سبحانه فى وقت  
المساء حين إقبال الليل وظلامه ، وحين الصباح حين إسفار النهار بضياؤه .

( وله الحمد فى السموات والأرض ) أى والله هو المحمود من جميع خلقه  
فى السموات من سكانها من الملائكة ، وفى الأرض من أهلها من أصناف  
خلقها فيها .

( وعشيا وحين تظهرون ) أى وزهوه وقت العشى حين اشتداد الظلام ، ووقت  
الظهيرة حين اشتداد الضياء كما قال : « وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى . وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا » ،  
وقال : « وَاللَّيْلُ إِذَا يَفْشَى . وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى » .

وتخصيص هذه الأوقات من بين سائرهما لما فيها من التبديل الظاهر فى أجزاء الزمن ، والانتقال من حال إلى أخرى على صورة واضحة ، كالانتقال من الضياء إلى الظلام فى المساء ، ومن الظلام إلى النور فى الإصباح ، ومن ضياء تام وقت الظهيرة إلى اضمحلال لذلك الضياء وقت العشى ، وهكذا .

ثم بين صفات ذلك الإله المستحق للثناء والتقدير ، فقال :

(١) ( يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ) فهو القادر على خلق الأشياء المتقابلة بعضها من بعض ، فيخرج الإنسان والطائر من النطفة والبيضة ، كما يفعل ضد هذا ، فيخرج النطفة والبيضة من الإنسان والطائر ، وفى هذا دلالة على كمال قدرته ، وبديع صنعه ، وكون البيضة والنطفة كائن حى لا تعرفه العرب ولا تعترف به .

(٢) ( ويحيى الأرض بعد موتها ) أى ويحيى الأرض بالمطر ، فتخرج النبات الغض بعد أن كانت صعيداً جرساً .

ونحو الآية قوله : « وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ » وقوله : « وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ » .

(٣) ( وكذلك تخرجون ) أى وكما سهل حركة النائم الساكن بالانتباه ، وإغناء الأرض بإنباتها بعد موتها - يسهل عليه إحياء الميت وإخراجه من قبره لفصل القضاء له فى كل ما كان ميتاً .

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠)  
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ  
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ (٢١) .

## المعنى الجملى

بعد أن أمر سبحانه بتنزيهه عن الأسواء والنقائص التى لا تليق بجلاله وكماه ، ثم ذكر أن الحمد له على خلقه جميع الموجودات ، وبين قدرته على الإمانة والإحياء بقوله : ( وكذلك تخرجون ) ، ذكر هنا أدلة باهرة ، وحججا ظاهرة على البعث والإعادة ، ومنها : خلقكم من التراب الذى لم يشمّ رائحة الحياة ، ولاناسبة بينه وبين ما أنتم عليه فى ذاتكم وصفاتكم ، ثم إبقاء نوعكم بالتوالد ، فإذا مات الأب قام ابنه مقامه ، لتبقى سلسلة الحياة متصلة بهذا النوع وبسائر الأنواع الأخرى بالازدواج والتوالد إلى الأجل الذى قدره الله لأمد هذه الحياة .

## الإيضاح

( ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ) أى ومن حججه الدالة على أنه القادر على ما يشاء من إنشاء وإفناء ، وإيجاد وإعدام : أن خلقكم من تراب بتغذيتكم إما بلحوم الحيوان وألبانها وأسمانها ، وإما من النباتات ؛ والحيوان غذاؤه النباتات ، والنبات من التراب ، فإن النواة لاتصير شجرة إلا بالتراب الذى ينظم إليه أجزاء مائية تجعلها صالحة للتغذية ، ثم بعد إخراجكم منه إذا أنتم بشر تنتشرون فى الأرض ، تنصرفون فيها فى أغراضكم المختلفة ، وأسفاركم البعيدة تسكدحون وتجدون لتتحصيل أرزاقكم من فيض ربكم وواسع نعمة عليكم .

( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ) أى ومن آياته الدالة على البعث والإعادة : أن خلق لكم أزواجا من جنسكم لتأنسوا بها ، وجعل بينكم المودة والرحمة لتدوم الحياة المنزلية على أتم نظام .

ونحو الآية قوله : « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

لِتَسْكُنَ إِلَيْهَا » .

( إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) أى إن فى سائف من خلقكم من تراب وخلق أزواجكم من أنفسكم ، وإبقاء المودة والرحمة - لعبرة لمن تأمل فى تضاعيف تلك الأفعال المبنية على الحكم والمصالح ، فهى لم تخلق عبثاً ، بل خلقت لأغراض شتى تحتاج إلى الفكر حتى يصل إلى معرفتها ذوو الذكّن والعقل الراجح .

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
 وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ (٢٣)

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر دلائل وجوده بما ذكره فى خلق الإنسان - أعقبه بذكر الدلائل فى الأكوان المشاهدة والعوالم المختلفة ، وفى اختلاف ألوان البشر ولغاتهم التى لاحصر لها ، مع كونهم من أب واحد وأصل واحد ، وفيما يشاهد من سباتهم العميق ليلاً ، وحركتهم السريعة نهاراً فى السعى على الأرزاق ، والجد والكد فيها .

### الإيضاح

( ومن آياته خلق السموات والأرض ) أى ومن دلائل وجوده وآيات قدرته : خلقه السموات المزدانة بالكواكب والنجوم الثوابت والسيارة الرنفة السموك الواسعة الأجزاء ، وخلق الأرض ذات الجبال والوديان ، والبحار والقفار ، والحيوان والأشجار . ( واختلاف ألسنتكم وألوانكم ) أى واختلاف لغاتكم اختلافاً لا حد له ، فمن عربية إلى فرنسية ، إلى إنجليزية ، إلى هندية ، إلى صينية ، إلى نحو ذلك مما لا يعلم حصره إلا خالق اللغات ، واختلاف أنواعكم وأشكالكم اختلافاً به أمكن التمييز بين الأشخاص فى الأصوات والألوان ، وهذا مما لاغنى عنه فى منازع الحياة ومختلف

أعراضها ، فكثيرا ما تميز الأشخاص بالأصوات ، وبذا نعرف الصديق من العدو ،  
فنتخذ ما يلزم من المدة لكل منهما ، كما تميزها بلغاتها ، فنعرف من أى الأجناس هي .  
( إن فى ذلك آيات للعالمين ) أى إن فى ذلك دلالات لأئمة لأولى العلم الذين  
يفكرون فى خلق الله ، فيعلمون أنه لم يخلق الخلق عبثا ، بل خلقه لحكمة بالغة فيها  
عبرة لمن تذكر .

( ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله ) أى ومن علامات قدرته  
نومكم بالليل واستقراركم فيه ، حتى لا تكون حركة ولا حس ، وسعيكم للأرزاق نهائرا  
بمزاولة أسباب المعاش ووسائله .

( إن فى ذلك آيات لقوم يسمعون ) أى إن فى فعل الله ذلك لعبرا وأدلة لمن  
يسمعون مواعظه فيتعظون بها ، ويفهمون حججه عليهم ، على أن صانع ذلك لا يعجزه  
بعث العالم وإعادته .

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ  
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ  
أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا  
أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر ما يعرض للأنفس من الأوصاف - ذكر ما يعرض للأكوان  
والآفاق ونشاهده رأى العين الفينة بعد الفينة مما فيه العبرة لمن اذكر ، ونظر  
فى العوالم نظرة متأمل معتبر فى بدائع الأكوان ليتوصل إلى معرفة مدبرها وخالقها  
الذى أحسن كل شئ خلقه ثم هدى .

## الإيضاح

(ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماءً فيحيى به الأرض بعد موتها) أى ومن آياته الدالة على عظيم قدرته أنه يريكم البرق فتخافون مما فيه من الصواعق ، وتطمعون فيما يجلبه من المطر الذى ينزل من السماء ، فيحيى الأرض الميتة التى لازرع فيها ولا شجر .

(إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) أى إن فى ذلك الذى سلف ذكره لبرهاناً قاطعاً ، ودليلاً ساطعاً ، على البعث والنشور ، وقيام الساعة ، فإن أرضاً هامدة لآبات فيها ولا شجر يحياها الماء قهتيز وتربو وتنبث من كل زوج بهيج : لهى المثال الواضح ، والدليل الأئح ، على قدرة من أحيهاها على إحياء العالم بعد موته ، حين يقوم الناس رب العالمين .

(ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) أى ومن الحجج الدالة على قدرته على ما يشاء قيام السماء والأرض بلا عمد ، بل بإقامته وتدييره ؛ فالأرض تجرى ، والسحاب يجرى حولها ، والهواء تبع لها ، وهى والقمر والسيارات يجرى حول الشمس ، والشمس ولواحتها يجرى حول كواكب أخرى ، لانعم عنها إلا هذه الآثار العلمية الضئيلة .

وقضارى ذلك : إن إيمانك هذه العوالم وإقامتها وتديورها وإحكامها من الآيات التى ترشد إلى إله مدبر لها .

(ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) أى ولا يزال الأمر هكذا حتى ينتهى أجل الدنيا ، ويختل نظام العالم ، فتبدل الأرض غير الأرض ، وتلك الجبال دكا ، وحينئذ تخرجون من قبوركم سراعا حينما يدعوكم الداعى .

ونحو الآية قوله : « يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا » وقوله : « فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ » وقوله : « إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً . فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ » .

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَهُوَ الَّذِي  
يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) .

### المعنى الجملى

بعد أن أقام الأدلة على الوجدانية وهى الأصل الأول ، وعلى القدرة على الحشر ،  
وهى الأصل الثانى - أعقب ذلك بهاتين الآيتين وجعلهما كالتفجئة لما سلف .

### الإيضاح

(وله من فى السموات والأرض كل له قانتون) أى إن من فى السموات والأرض  
من خلق الله مطيع له فيما أراد به من حياة أو موت ، من سعادة أو شقاء ، من حركة  
أو سكون ، إلى أشباه ذلك ، وإن عصاه بقوله أو فعله فيما يكسبه باختياره ويؤثره  
على غيره .

ثم كرر ذكر البعث والإعادة مرة أخرى لشدة إنكارهم له فقال :

( وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ) أى وهو الذى يبدأ الخلق  
من غير أصل له فينشئه بعد أن لم يكن شيئاً ، ثم يفنيه بعد ذلك ، ثم يعيده كما بدأه ،  
وذلك أسهل عليه على حسب ما يدور فى عقول المخاطبين من أن من فعل شيئاً مرة  
كانت الإعادة أسهل عليه .

والخلاصة : إن الإعادة أسهل على الله من البدء بالنظر لما يفعله البشر مما يتقرون  
عليه ، فإن إعادة شئ من مادته الأولى أهون عليهم من إيجاد ابتداءه ، والمراد  
بذلك التقريب لعقول الجهلة المنكرين للبعث ، وإفكلك الممكنات بالنظر إلى  
قدرته سواء .

وقصارى ذلك : إنه أهون عليه بالإضافة إلى أعمالكم وبالقياس إلى أقدارك .  
 روى عن أبى هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى « كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى ، فقوله : لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون على من إعادته ، وأما شتمه إياى ، فقوله : اتخذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

(وله المثل الأعلى فى السموات والأرض) أى وله الوصف البديع فى السموات والأرض ، وهو أنه لا إله إلا هو ليس كمثله شئ تعالى عن الشبيه والنظير .  
 (وهو العزيز الحكيم) أى وهو العزيز الذى لا يعالَب ولا يُعْتَب ، الحكيم فى تدبير خلقه وتصريف شئونه فيما أراد على وفق الحكمة والسداد .

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ  
 أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ  
 كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) بَلِ  
 اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ  
 مِنْ نَّاصِرِينَ (٢٩) .

### شرح المفردات

من أنفسكم : أى منتزعا من أحوال أنفسكم التى هى أقرب الأمور إليكم وأعرفها عندكم ، ملكت أيمانكم : أى مماليتكم وعبيدكم ، فيما رزقناكم : أى من العقار والمنقول ، فأنتم فيه سواء : أى تتصرفون فيه كتصرفكم ، تخافونهم : أى تخافون أن يستبدوا بالتصرف فيه ، كخيفتكم أنفسكم : أى كايخاف الأحرار بعضهم من

بعض ، نفصل الآيات : أى نبينها بالتمثيل الكاشف للمعانى ، فمن يهدى من أضل الله ؟ : أى لأحد يهديهم ، وما لهم من ناصرين : أى ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير .

### المعنى الجملى

بعد أن بين القدرة على الإعادة بإقامة الأدلة عليها ، ثم ضرب لذلك مثلا ؛ أعقب ذلك بذكر المثل على الوجدانية بعد إقامة الدليل عليها .

### الإيضاح

(ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ؟ ) أى بين الله تعالى إثبات وحدانيته بما يكشفها من ذلك المثل المنتزع من أحوال أنفسكم وأطوارها التى هى أقرب الأمور إليكم ، وبه يستبين مقدار ما أنتم فيه من الضلال بعبادة الأوثان والأصنام ، ففسرعون إلى الإقلاع عن عبادة من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

هل أنتم أيها الأحرار تشركون معكم عبيدكم فى أموالكم ، فيساؤونكم فى التصرف فيها ؟ لا ، لا يتصرفون فيها إلا بإذنكم خوفا من لائمة تلحقهم منكم ، كما يخاف بعضكم بعضا ، وإذا كنتم لاترضون بذلك لأنفسكم وأنتم وهم عبيد الله ، فكيف ترضون لرب الأرباب أن تجعلوا عبيده شركاء له ؟ .

وهذا مثل ضربه الله للمشركين به ، العابدين معه غيره ، الجاعلين له شركاء ، وهم معترفون بأن شركاءه من الأصنام والأوثان عبيده وملكه ، إذ كانوا يقولون فى التلبية والدعاء ، حين أداء مناسك الحج : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك .

وخلاصة المثل : إن أحدكم يأنف أن يساويه عبيده فى التصرف فى أمواله ، فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه ؟ .

( كذلك فصل الآيات لقوم يعقلون ) أى ومثل هذا التفصيل البديع بضرب الأمثال الكاشفة للمعاني القريبة لها إلى العقول ، إذ تنقل العقول إلى المحسوس التى هى به ألصق ، ولإدراكه أقرب - فصل حججنا وآياتنا لقوم يستعملون عقولهم فى تدبر الأمثال واستخراج مغازيها ومراميها للوصول إلى الأغراض التى لأجلها ضربت ، ولئلاها استعملت ، فيستبين الرشد من الغي والحق من الباطل ، ولأمر ما كثرت الأمثال فى جلاء الحقائق ، وإيضاح ما أشكل منها على الناظرين .  
ثم بين أن المشركين إنما عبدوا غيره سفها من أنفسهم وجهلا لا يبرهان قد لاح لهم فقال :

( بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ) أى ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله ، اتبعوا أهواءهم جهلا منهم لحق الله عليهم ، فأشركوا الآلهة والأوثان فى عبادته ، ولو قلبوا وجود الرأى واستعملوا الفكر والتدبر لربما ردهم ذلك إلى معرفة الحق ووصولوا إلى سبيل الرشد ، ولكن أى لهم ذلك ؟

( فمن يهدى من أضل الله ؟ ) أى فمن يهدى من خلق الله فيه الضلال وجعله كاسبا له باختياره ، لسوء استعداده وميله بالفطرة إليه وعلم الله فيه ذلك ؟  
( وما لهم من ناصرين ) أى وليس لهم ناصر ينقذهم من بأس الله وشديد انتقامه إذا حل بهم ، لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)

## شرح المفردات

أقم : من أقام العود وقومّه إذا عدّله ؛ والمراد الإقبال على دين الإسلام والثبات عليه ، حنيفا : من الحنف وهو الميل فهو مائل من الضلالة إلى الاستقامة ، والفطرة : هى الحال التى خلق الله الناس عليها من القابلية للحق والتهيؤ لإدراكه ، وخلق الله : هو فطرته المذكورة أوّلا ، القيم : أى المستوى الذى لا عوج فيه ولا انحراف ، منيبين إليه : أى راجعين إليه بالتوبة وإخلاص العمل ، من قولهم : تاب توبة ونوبا إذا رجع مرة بعد أخرى ، واتقوه : أى خافوه ، فرقوا دينهم : أى اختلفوا فيما يعبدونه على حسب اختلاف أهوائهم ، شيعا : أى فرقا تشايح كل فرقة إمامها الذى مهد لها دينها وقرره ووضع أصوله .

## المعنى الجملى

بعد أن عدد سبحانه البينات والأدلة على وحدانيته ، وأثبت الحشر وضرب لذلك المثل ، وسلى رسوله ووطن عزيمته على اليأس من إيمانهم ، لأن الله قد ختم على قلوبهم ، فلا يخلص لهم من ذلك ولا أحد ينقذهم مما هم فيه ، لا أنت ولا غيرك ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات - أعقب ذلك بأمره بالاهتمام بنفسه وعدم المبالاة بأمرهم وإقامة وجهه لهذا الدين غير ملتفت عنه بمنة ولا يسرة ، فهو فطرة الله التى خلق العقول معترفة بها .

## الإيضاح

( فأقم وجهك للدين حنيفا ) أى فبصد وجهك نحو الوجه الذى وجهك إليه ربك لطاعته ، وهو الدين القيم دين الفطرة ، وميل عن الضلال إلى الهدى .  
( فطرة الله التى فطر الناس عليها ) أى الزموا خلقة الله التى خلق الناس عليها ، فقد جعلهم بفطرتهم جانحين للتوحيد وموقنين به ، لكونه موافقا لما يهدى إليه

العقل ويرشد إليه صحيح النظر كما ورد في الحديث الذى رواه البخارى ومسلم :  
 « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه  
 أو يمجسانه كما تُنتج البهيمة جمعاء » (مستوية لم يذهب من بينها شيء) هل  
 تحسون فيها من جدعاء » (مقطوعة الأذن أو الأنف) .

ثم علل وجوب الامتثال بقوله :

( لا تبدل خلق الله ) أى لا ينبغي أن تبدل فطرة الله أو تغيره ، وهذا خير  
 فى معنى النهى كأنه قيل : لا تبدلوا دين الله بالشرك .

بيان هذا أن العقل الإنسانى كصحيفة بيضاء قابلة لنقش ما يراد أن يكتب فيها  
 كالأرض تقبل كل ما يغرس فيها ، فهى تثبت حنظلاً وفاكهة ، ودواء وسمماً ،  
 والنقس ترد عليها الديانات والمعارف فتقبلها ، والخير أغلب عليها من الشر ، كما أن  
 أغلب نبات الأرض يصلح للرعى والقليل منه سم لا يندفع به ، ولا تغير بالآراء  
 الفاسدة إلا بعلم يعلمها ذلك كالأبوين اليهوديين أو النصرانيين ، ولو ترك الطفل  
 وشأنه لعرف أن الإله واحد ولم يسقه عقله إلى غير ذلك ، فإن البهيمة لا تجتمع إلا بمن  
 يجدها من الخارج ، هكذا صحيفة العقل لا تغير إلا بمؤثر خارجى يضلها بعد علم .

( ذلك الدين القيم ) أى ذلك الذى أمرتكم به من التوحيد هو الدين الحق الذى  
 لا عوج فيه ولا انحراف .

( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) ذلك لعدم تدبرهم فى البراهين الواضحة الدالة  
 عليه ، ولو علموا ذلك حق العلم لاتبعوه وما صدوا الناس عن الاقتباس من نوره ،  
 وما سدوا الحجب التى تحجب عنهم ضيائه .

( منيبين إليه واتقوه ) أى فأقم وجهك أيها الرسول أنت ومن اتبعك حنفاء لله  
 منيبين إليه ، وخافوه ، وراقبوا أن تفرطوا فى طاعته وترتكبوا معصيته .

( وأقيموا الصلاة ) أى وداوموا على إقامتها ، فهى عمود الدين ، وهى التى تذكر  
 المؤمن ربه ، وتجعله يناجيه فى اليوم خمس مرات ، وتحول بينه وبين الفحشاء

والمسكر ، لأنها تعود النفس الخضوع والإخبات إليه ، ومراقبته في السر والعلن ، كما جاء في الحديث : « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .  
(ولاتكونوا من المشركين ) به غيره ، بل أخلصوا له العبادة ولا تريدوا بها سواه ، وحافظوا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه .

ثم بين صفات هؤلاء المشركين بقوله :

( من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ) أى من المشركين الذين بدلوا دين الفطرة وغيره ، وكانوا فى ذلك فرقا مختلفة كلها جانب الحق ، وركنت إلى الباطل ، كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان ، وسائر الأديان الباطلة .

والخلاصة : إن أهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على مذاهب ونحل باطلة ، كل منها تزعم أنها على شىء .

( كل حزب بما لديهم فرحون ) أى كل طائفة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق ، وأحدثوا من البدع ما أحدثوا فرحون بما هم به مستمسكون ، ويحسبون أن الصواب لا يعدوهم إلى غيرهم من النحل والمذاهب الأخرى .

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهَوْا يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥) وَإِذَا آذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) .

## المعنى الجملى

لما أرشد إلى التوحيد وأقام الأدلة عليه ، وضرب له المثل ؛ أعقبه بذكر حال المشركين يعرفون بها ، وسياء لا يتكرونها ، وهى أنهم حين الشدة يتضرعون إلى ربهم ، وينيبون إليه ، فإذا خلصوا منها رجعوا إلى شئنتهم الأولى ، وأشركوا به الأوثان والأصنام ، فليضلوا ماشاءوا ، فإن لهم يوماً يرجعون فيه إلى ربهم ، فيحاسبهم على ما جترحوا من السيئات ، ولبتهم اتبعوا ذلك عن دليل ، حتى يكون لهم شبه العذر فيما يفعلون ، بل هو الهوى المطاع ، والرأى المتبع ، ثم ذكر حال طائفة من المشركين دون سابقهم ، وهم من تكون عبادتهم لله رهن إصابتهم من الدنيا ، فإن آتاهم ربهم منها رضوا ، وإذا منعوا منها سخطوا وقنطوا ، وقد كان عليهم أن يعلموا أن بسط النعمة وإقترارها بيد الله ، وقد جعل لذلك أسباباً متى سلكتها فاعلموا وصل إلى ما يريد ، وليس علينا إلا أن نطمئن نفوسنا إلى ما يكون ، فكله بقدر الله وقضائه ، وعلينا أن نستسلم له ونعمل ما طلب إلينا عمله من الأخذ فى الأسباب والجد فى العمل جهد الطاقة .

## الإيضاح

( وإذا مس الناس ضرّ دعوا ربهم منيبين إليه ) أى وإذا مس هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر - ضر فأصابهم جذب وقحط أخلصوا لربهم التوحيد وأفردوه بالتضرع إليه واستغاثوا به منيبين إليه تائبين إليه من شركهم وكفرهم .

( ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ) أى ثم إذا كشف ربهم عنهم ذلك الضر وفرجه عنهم ، وأصابهم برحاء وخصب وسعة ، إذا جماعة منهم يشركون به ، فيعبدون معه الآلهة والأوثان .

والخلاصة : إنهم حين الضرر يدعون الله وحده لا شريك له ، وإذا أسبغ عليهم

نعمه إذا فريق منهم يشركون به سواه ويعبدون معه غيره .  
ثم أمرهم أمر تهديد كما يقول السيد لعبدته متوعدا إذا رآه قد خالف أمره :  
اعصني ما شئت .

( ليكفروا بما آتيناكم ) أى فليجحدوا نعمى عليهم وإحسانى إليهم كيف شاءوا ،  
فإن لهم يوما نحاسبهم فيه ، يوم يؤخذون بالنواصى ، ويجزون بالسلاسل والأغلال ،  
ويقال لهم : ذوقوا ما كنتم تعملون .

وهكذا الأمر بعده مسوق لمثل ذلك وهو :

( فتمتعوا ) أى فتمتعوا بما آتيناكم من الرخاء ، وسعة النعمة فى الدنيا ، فما هي  
إلا أوقات قصيرة تمضى ككلح البصر .

ثم عددهم أشد التهديد بقوله :

( فسوف تعملون ) إذا وردتم على ما يصيبكم من شديد عذابي ، وعظيم عقابي  
على كفركم بى فى الدنيا .

روى عن بعض السلف أنه قال : والله لو توعدتى حارس درب خلفت فيه ،  
فكيف والتتوعد هو الله الذى يقول للشئء كن فيكون ؟

ثم أنكر على المشركين ما اختلقوه من عبادة غيره بلا دليل ، فقال :

( أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ) أى أنزلنا على هؤلاء  
الذين يشركون فى عبادتنا الآلهة والأوثان كتابا بتصديق ما يقولون ، ويرشد إلى  
حقيقة ما يدعون .

وإجمال القصد : إنه لم يُنزّل بما يقولون كتابا ولا أرسل به رسولا ، وإنما هوشىء  
افتعاله اتباعا لأهوائهم .

ثم ذكر طبيعة الإنسان وجيلته إلا من عصمه الله فقال :

( وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم

يفنظون) أى إن الإنسان قدر كعب الله فى طبيعته الفرح والبطر حين تصيبه النعمة ، كما حكى الله عنه: « لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ » ، وإذا أصابته شدة يجبهه بسنن الحياة وعصيانه أوامر الدين قنط من رحمة الله وأيس منها ، فهو كما قيل :

كحمار السوء إن أعلفتة رَمَحَ الناس وإن جاع نهق

« إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » فإنهم راضون بما قسمه لهم ربهم من خير أو شر ، علما منهم أن الله حكيم ، لا يفعل إلا ما فيه خير للعبد ، وفى الحديث الصحيح : « عجباً للمؤمن لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » .

ثم أنكر عليهم ما يلحقهم من اليأس والقنوط لدى الضراء ، فقال :

( أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ؟ ) أى ألم يشاهدوا ويعلموا أن الأمرين من الله ، فما بالهم لم يشكروا فى السراء ، ويحتسبوا فى الضراء ، كما يفعل المؤمنون ، فإن من فطر هذا العالم لا ينزل الشدة بعباده إلا لما يعود عليهم بالخير كالتأديب والتذكير والامتحان ، فهو كما يربى عباده بالرحمة يربهم بالتعذيب ؛ فلو أنهم شكروه حين السراء وتضرعوا إليه فى الضراء لكان خيراً لهم .

والخلاصة : إنه يجب عليهم أن ينموا إليه فى الرخاء والشدة ، ولا يعوقهم عن الإجابة إليه نعمة تبطرحهم ، ولا شدة تحدث فى قلوبهم اليأس ، بل يكونون فى السراء والضراء منيبين إليه .

( إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ) أى إن فى ذلك البسط على من بسط له ، والتقدير على من قدر عليه لدلالة واضحة لمن صدق بحجج الله إذا عاينها .

فَأَتَى ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّكُمْ بَلَاءٍ يُرِيدُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيدُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ

اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠).

## شرح المفردات

حقه : هو صلة الرحم والبر بالقرب ، والمسكين : هو المعدم الذى لا مال له ، وابن السبيل : هو المسافر الذى احتاج إلى مال وعز عليه إحضاره من بلده ، ووسائل المواصلات الحديثة الآن تدفع مثل هذه الحاجة ، ربا : أى زيادة ، والمراد بها الهدية التى يتوقع بها مزيد مكافأة ، فلا يربو عند الله : أى فلا يبارك فيه ، والمراد بانزكاة الصدقة ، المضعفون : أى الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء .

## المعنى الجملى

بعد أن بين سبحانه أنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر - أردف ذلك ببيان أنه يحب الإحسان على ذوى القربى وذوى الحاجات من المساكين وأبناء السبيل ، فإن الله إذا بسط الرزق لم ينقصه الإنفاق ، وإذا قدر لم يزد بالإمساك :

إذا جاءت الدنيا فجدَّ بها      على الناس طرّاً إنها تتقلب  
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت      ولا البخل يبقئها إذا هي تذهب

## الإيضاح

( فَأَتْ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ) أى أعط أيها الرسول ومن تبعك من المؤمنين : الأقارب الفقراء جزءا من مالك صلة للرحم وبراً بهم ، لأنهم أحق الناس بالشفقة ؛ ومن ثم حكى عن أبى حنيفة أنه استدل بهذه الآية على وجوب النفقة على كل ذى رحم محرم ذكر أو أنثى إذا كان فقيراً عاجزاً عن الكسب .

وكذا المسكين الذى لا مال له إذا وقع فى ورطة الحاجة ، فيجب على من عنده مقدرة دفع حاجته ، وسد عوزة .

ومثله المسافر البعيد عن ماله ، الذى لا يستطيع إحضار شئ منه لانتقطاع السبل به فيجب مساعدته بما يدفع خصاعته ، حتى يصل إلى مأمنه ، وسرعة طرق المواصلات الآن تدفع هذه الضرورة .

(ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون) أى ذلك الإعطاء لمن تقدم ذكرهم ، من فعل الخير الذى يتقبله الله ، ويرضى عن فاعليه ، ويعطيهم جزيل الثواب ، وأولئك قد ربحوا فى صفتهم ، فأعطوا ما يفتنى ، وحصلوا على ما يبتقى من النعيم المقيم ، والخير العميم .

وإنما كان هذا العمل خيراً لما فيه من تكافل الأسرة الخاصة وتعاونها فى السراء والضراء ، وتعاون الأسرة العامة ، وهى الأمة الإسلامية جمعاء ، كما جاء فى الحديث : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

ولا يخفى ما لذلك من أثر فى تولد المحبة والمودة ، وفى التكاثر لدفع عوادي الأيام ومحن الزمان .

(وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله) أى ومن أهدى هدية يريد أن تردّ بأكثر منها ، فلا ثواب له عند الله ، وقد حرم الله ذلك على رسوله صلى الله عليه وسلم على الخصوص ، كما قال تعالى : « وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ » أى ولا تعط العطاء تريد أكثر منه .

روى عن ابن عباس أنه قال : الربا ربوان : ربا لا يصح وهو ربا البيع ، و ربا لأبأس به ، وهو هدية الرجل يريد فضلها وإضعافها ، ثم تلا هذه الآية .

وقال عكرمة : الربا ربوان : ربا حلال ، و ربا حرام ؛ فأما الربا الحلال : فهو الذى يهدى ، يلمس ما هو أفضل منه ؛ وعن الضحاك فى هذه الآية : هو الربا

الحلال الذى يَهْدِي ، ليثاب ما هو أفضل منه ، لاله ولا عليه ، ليس له أجر ، وليس عليه فيه إثم .

( وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ) أى ومن أعطوا صدقة يبتغون بها وجه الله تعالى خالصا ، فأولئك من الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء ، كما قال تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ؟ » ، وجاء فى الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وما تصدق أحد بعدل تمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه فيربها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوله أو فصيله حتى تصير التمرة أعظم من أحد ( جبل ) » .

ولما بين أنه لازيادة إلا فيما يزيد ولاخير إلا فيما يختاره أكد ذلك بقوله :

( الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ) أى الله الذى لا تصح العبادة إلا له ، ولا ينبغي أن تكون لغيره ، هو الذى خلقكم ولم تكونوا شيئا ، ثم رزقكم ما به تقوم شئونكم فى هذه الحياة ، ثم يقبض أرواحكم فى الدنيا ، ثم يحييكم يوم القيامة للبعث .

ثم وبخ هؤلاء المشركين الذين يعبدون الآلهة والأصنام ، التى لا تخلق ولا ترزق ولا تحي ولا تميت بقوله :

( هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ؟ ) أى هل من آلهتكم وأوثانكم الذين جعلتموهم شركاء لله فى العبادة من يخلق أو يرزق أو ينشئ الميت يوم القيامة ؟ .

وإجمال المعنى : إن شركاءكم لا يفعلون شيئا من ذلك ، فكيف يعبدون من دون الله ؟ .

ثم برأ سبحانه نفسه عن هذه الفرية التى افتروها ، فقال :

( سبحانه وتعالى عما يشركون ) أى تنزهة عن الشريك ، فهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ  
بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا  
كَيْفَ كَانَ حَاقِمَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٢)

### شرح المفردات

البر : الفيافي والغفار ، ومواضع القبائل ، والبحر : المدن ، والغرب تسمى  
الأمصار بخاراً لسمتها ؛ كما قال سعد بن عبادة فى عبادة فى عبد الله بن أبى بن سؤل : ولقد أجمع  
أهل هذه البحيرة ( المدينة ) ليتوجوه .  
وقال ابن عباس : البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر ، والبحر ما كان  
على شط نهر .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن المشركين عبدوا مع الله سواه ، وأشركوا به غيره ، والشرك  
سبب الفساد ، كما يرشد إلى ذلك قوله : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » -  
أعقب ذلك ببيان أن الناس قد انتهكوا حرمت الله واجترحوا المعاصى ، وفشا بينهم  
الظلم والطمع ، وأكل القوي مال الضعيف ، فصب عليهم ربك سوط عذابه ،  
فكثرت الحروب وافتن الناس فى أدوات التدمير والإهلاك ، فمن غائصات فى البحار  
تهلك السفن الماخرة فيها ، إلى طائرات قاذفات للحمّم والمواد المحرقة ، إلى مدافع  
تحصد الناس حصدا ، إلى دبابات سميكة الدروع تهد المدن هذا ؛ وما الحرب القائمة

الآن إلا مثال الوحشية الإنسانية ، والمجازر البشرية التي سلبت الله فيها العالم بعضه على بعض ، فارتكب المظالم ، واجترح المآثم ، والإنسان في كل عصر هو الإنسان .  
وكما أهلك الله الكافرين قبلهم بكفرهم وظالمهم ، يهلك الناس بشؤم معاصيهم وفسادهم ، فليجعلوا من سبقتهم مثلاً لهم ، ليتذكروا عقاب الله وشديد عذابه للمكذابين .

## الإيضاح

( ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا .  
لعلهم يرجعون ) أى ظهر الفساد في العالم بالحروب والغارات ، والجيوش والطائرات ، والسفن الحربية والنوفاصات ، بما كسبت أيدي الناس من الظلم وكثرة المطامع ، وانتهاك الحرمات ، وعدم مراقبة الخلاق ، وطرح الأديان وراء ظهورهم ، ونسيان يوم الحساب ، وأطلقت النفوس من عقابها ، وعانت في الأرض فساداً ، إذ لا رقيب من وازع نفسى ، ولا حسيب من دين يدفع عاديتهما ، ويمنع أذاها ، فأذاقهم الله جزاء بعض ما عملوا من المعاصي والآثام لعلهم يرجعون عن غيرهم ، ويثوبون إلى رشدهم ، ويتذكرون أن هناك يوماً يحاسب الناس فيه على أعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فيخيم العدل على المجتمع البشرى ، ويشفق القوى على الضعيف ، ويكون الناس سواسية في المرافق العامة ، وحاج المجتمع بقدر الطاقة البشرية .

وبعد أن بين أن ظهور الفساد كان نتيجة أفعالهم أرشدهم إلى أن من كان قبلهم وكانت أفعالهم كأفعالهم ، فأصابهم بعذاب من عنده ، وصاروا مثلاً لمن جاء بعدهم ، عبرة لمن خلقهم ، قال :

( قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ؟ ) أى قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين من قومك : سيروا في البلاد فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم وكذبوا رسله ، كيف أهلكتناهم بعذاب منا ، وجعلناهم عبرة لمن بعدهم ؟ .

ثم بين سبب ما حاق بهم من العذاب ، فقال :  
 ( كان أكثرهم مشركين ) فما حل بهم من العذاب كان جزاء وفاقا لكفرهم  
 بآيات ربهم ، وتكذيبهم رسوله .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ  
 يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّغُونَ (٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ  
 يُعْهَدُونَ (٤٤) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
 الْكَافِرِينَ (٤٥) .

### شرح المفردات

لامردله : أى لا يقدر أحد أن يرده ، يصدعون: أى يتصدعون ويتفرقون ، كما  
 قال متمم بن نويرة من قصيدة يرثى بها أخاه مالكا :

وكفا كندماني جذيمة حقبه من الدهر حتى قيل لن يتصدعا<sup>(١)</sup>  
 فأصبحنا كآنى ومالكا لطول اجتماع لم تبت ليلة معا

يمهدون : من مهد فراشه إذا وطأه ، حتى لا يصيبه ما ينقص عليه مرقده من بعض  
 ما يؤذيه ، وتمهيد الأمور تسويتها وإصلاحها ، وتمهيد العذر بسطه وقبوله ، لا يحب  
 الكافرين : أى إنه يبغضهم ، وسيعاقبهم على ما فعلوا .

(١) وجذيمة : هوجذيمة الأبرش ، وكان ملكا في الحيرة ، ونديماه مالك وعقيل ، وبهما  
 يضرب المثل في طول الندامة ، فقد نادماه أربعين سنة ما أعادا عليه حديثا كان قالا من قبل .

## المعنى الجملى

بعد أن نهى الكافر عن بقائه على حاله التى هو عليها خيفة أن يحل به سوء العذاب - أردف ذلك بأمر رسوله ومن تبعه بالثبات على ما هم عليه ، بعبادتهم الواحد الأحد ، قبل أن يأتى يوم الحساب ، الذى يتفرق فيه العباد ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير ، فمن كفر فعليه وبال كفره ، ومن عمل صالحا فقد أعد لنفسه مهاداً يستريح عليه بما قدم من صالح العمل ، وسينال من فضل ربه وثوابه ورضاه عنه ما لا يحظره وبال ، ولا يدور له فى حسابان .

والكافر سيلقى فى هذا اليوم العذاب والنكال ، لأن ربه يبغضه ويمقتته جزاء ما دسّى به نفسه من سىء العمل .

## الإيضاح

( فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لامرّده ) أى فاسلك أيها الرسول الكريم الطريق الذى رسمه لك ربك بطاعته ، واتباع نهجه القويم ، الذى لا عوج فيه ولا أمت ، من قبل أن يحىء ذلك اليوم الذى لا رادّ له ، وهو يوم الحساب الذى كتب الله محيئه وقدره ، وما قدر لا بد أن يكون .

ثم ذكر حال الناس يومئذ ، فقال :

( يومئذ يصدعون ) أى يومئذ يتفرق الناس على حسب أعمالهم ، فقريق فى الجنة يؤتى ثمرة عمله ، وفريق يزجى إلى النار بما اجترح من الآثام ، وبما ران على قلبه مما كسبت يده .

ثم بين أن ما ناله كل منهما من الجزاء كان نتيجة حتمية لعمله فقال :

( من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ) أى من كفر بالله ودسّى نفسه بما عمل من السيئات ، واجترح من الآثام ، فعليه وحده أوزار جحوده

وكفره بنعم ربه ، ومن عمل الصالحات وأطاع الله فيما به أمر وعنه نهى ، فقد أعد لنفسه العُدَّة ، ووطأ لنفسه الفراش حتى لا يقضَّ عليه مضجعه ، ويقع في عذاب السعير .

ثم بين العلة في تفرقهم ، فقال :

( ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ) أى إنهم يتفرقون ليجازى المؤمنين بالحسنى من فضله ، فيكافئ الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى ما شاء الله من المنح والعطايا .

وذكر جزاء الكافرين بما يدل عليه قوله :

( إنه لا يحب الكافرين ) أى إنه يبغضهم ، وذلك يستدعى عقابهم ، ولا يخفى

ما فى ذلك من تهديد ووعيد .

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ  
وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦) .

### المعنى الجملى

لما ذكر أن الفساد ظهر بسبب الشرك والمعاصى نهبهم إلى دلائل وحدانيته بما يشاهدونه أمامهم من إرسال الرياح بالأقطار ، وجرى الفلك حاملة لأنواع الثمار ، مما فيه غذاؤكم ، وقوت أنعامكم .

### الإيضاح

( ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ) أى ومن الأدلة على وحدانيته ، والحجج القائمة على أنه رب كل شىء ، أن يرسل الرياح من حين إلى آخر مبشرات بالغيث الذى به تجميا

الأرض ويُنبِت التمر والزرع ، فتأكلون منه ما لذ وطاب ، وتعيشون أنتم ودوابكم وأنعامكم فضلا من ربكم ، ولتجرى السفن ماخرة للبحار ، حاملة للأقوات وأنواع التمار ، منتقلة من قطر إلى قطر ، فيؤتى بما فى أقصى المعمور من الشرق إلى أقصاه فى الغرب ، والعكس بالعكس ، فلا تُحْتَجَب الثمرات والأقوات فى أماكنها وتكون وقفاً على قوم بأعيانهم .

(ولعلمكم تشكرون) أى وليعلمكم لشكره كفاء ما أسدى إليكم من نعمه الوفيرة ، وخيراته العميمة ، التى لا تحصى قدرها ، كما قال : « وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) .

### المعنى الجملى

لما ذكر سبحانه البراهين الساطعة الدالة على الوحدانية والبعث والنشور، ولم يرعوا بها المشركون ، بل لجأوا فى طغيانهم يعمهون ، سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فذكر له انك لست أول من كُذِّبَ ، فكثير من قبلك جاءوا أقوامهم بالبينات ، فلم تغنهم الآيات والنذر ، فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ، ونصرنا رسلنا ومن آمن بهم ، فلا تتأس بما كانوا يعملون ، ولنجرين عليك وعلى قومك سننا ، ولننتقم منهم ، ولننصرنك عليهم ، فالعاقبة للمتقين .

### الإيضاح

(ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجمعوا وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أى ولقد أرسلنا أيها الرسول رسلا من قبلك

إلى أقوامهم الكافرين ، كما أرسلناك إلى قومك عابدى الأوثان من دون الله ، فجاءوهم بالحجج الواضحة على أنهم من عند الله ، فكذبوهم كما كذبت قومك ، وردوا عليهم ما جاءوهم به من عنده ، كما ردوا عليك ما جئتهم به ، فانتقمنا من الذين اجترحوه الآثام ، واكتسبوا السيئات من أقوامهم ، ونجينا الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله ، ونحن فاعلو ذلك بمجرى قومك، وبمن آمن بك ، سنة الله التي شرعها لعباده ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وهذا إخبار من الله سبحانه بأن نصره لعباده المؤمنين حق عليه ، وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد . أخرج الطبرانى وابن أبي حاتم وابن مردويه والترمذى عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلم يردّ عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » ثم تلا : « وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » .

ولا يخفى ما فى هذا من الوعد والبشارة بالظفر على أعدائه ، والوعيد والنكال ، والخسران فى المال ، لمن كذب به من قومه .

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا كَسَفَا الْوَدْقِ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِيي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠) وَلَنْ أَرْسَلْنَاكَ رِيحًا قَرَأُوهُ مُضْفَرًا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١) .

## شرح المفردات

ثير: أى تحرك ، يبسط: أى ينشر، فى السماء: أى فى سمتها وجهتها ، كسفا: أى قطعاً ، والودق: المطر ، خلاله: واحدها خلل ، وهو الفرجة بين الشيتين ، لميلسين: أى لآيسين .

## المعنى الجملى

عود على بدء ، بعد أن سلى رسوله صلى الله عليه وسلم على ما يلاقيه من أذى قومه ببيان أنه ليس يدع فى الرسل ، فكائن من رسول قبله قد كذب ، ثم دالت الدولة على المكذبين ، ونصر الله رسوله والمؤمنين ، أعاد الكرة مرة أخرى ، فأتبع البرهان بالبرهان لإثبات الوجدانية ، وإمكان البعث والنشور بما يشاهد من الأدلة فى الآفاق مرشدة إلى قدرته ، وعظيم رحمته ، ثم بما يرى فى الأرض الموات من إحيائها بالمطر ، وهو دليل لا تخفى يشاهدونه ، ولا يغيب عنهم الحين بعد الحين ، والقيئة بعد القيئة ، أفليس فى هذا معتبر لمن اعتبر وادّكر؟ .

## الإيضاح

( الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ) أى الله الذى يرسل الرياح ، فتنشئ سحاباً فينشره ويجمعه جهة السماء تارة سائراً ، وأخرى واقفاً ، وحيناً قطعاً ، فترى المطر يخرج من وسطه ؛ فإذا أصاب به بعض عباده فرحوا به لحاجتهم إليه .

( وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لميلسين ) أى وقد كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر قانطين يأسين من نزوله ، فلما جاءهم على فاقة وحاجة وقع منهم موقعا عظيماً .

والخلاصة : إنهم كانوا محتاجين إليه قبل نزوله ، ومن قبل ذلك أيضا إذ هم ترقبوه فى إبانته فتأخر ، ثم مضت فترة فترقبوه فيها فتأخر ، ثم جاء بغتة بعد اليأس والقنوط ، وبعد أن كانت أرضهم هامدة أصبحت وقد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج .

( فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ) أى فانظر أيها الرسول أثر الغيث الذى أصاب به ما أصاب من النبات والأشجار والثمار ، وفيه الدليل الكافى على عظيم القدرة وواسع الرحمة .

وإذ قد ثبتت قدرته على إحياء الميت من الأرض بالغيث ثبتت قدرته على إحياء الأجسام بعد موتها وتفريقها وتمزيقها إزبًا إزبًا ، ومن ثم قال :

( إن ذلك لحيى الموتى ) أى إن ذلك الذى قدر على إحياء الأرض قادر على إحياء الأجسام من البعث .

ثم أكد هذا بقوله :

( وهو على كل شىء قدير ) فلا يعجزه شىء ، فأحيأؤكم من قبوركم هين عليه ،

كما قال : « قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ » .

ثم ذمهم على تزلزلهم وسوء اضطرابهم ، فإذا أصابهم الخير فرحوا به ، وإن أصابهم السوء يئسوا وأبلسوا ، وانقطع رجأؤهم من الخير ، فقال :

( ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلموا من بعده يكفرون ) أى ولئن أرسلنا ريحا حارة أو باردة على الزرع الذى زرعه ونما واستوى على سوقه ، فرأوه قد اصفر بعد خضرته ونضرتة - لظلموا من بعد ذلك الاستيشار والرجاء يحددون نعم الله السابقة عليهم .

ولا يخفى مافى ذلك من المبالغة فى احتقارهم لتزلزلهم فى عقيدتهم ، إذ كان الواجب

عليهم أن يتوكلوا على الله في كل حال ، و ياجئوا إليه بالاستغفار إذا احتبس عنهم المطر ، ولا يئأسوا من روح الله ، و يبادروا إلى الشكر بالطاعة إذا أصابهم جل و علا برحمته ، وأن يصبروا على بلائه إذا اعترى زرعهم آفة و لا يكفروا بنعمائه ، لكنهم قد عكسوا الأمر ، و أبوا ما يجديهم ، و أتوا بما يؤذيهم .

فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا  
مُذْرِبِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ  
يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣)

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه صنوف الأدلة ، ثم ضرب المثل على توحيده ووجوب إرسال الرسل مبشرين و منذرين ، و صفة بعث الأجسام يوم القيامة ، و وعد و أوعد بما لم يبق بعده مستزاد لمستزيد ، ثم مازادهم دعاؤه بالإعراض ، و لا تكرار النصيح بالإصراراً و عناداً - أردف هذا بتسليته عما يراه من التماذى فى الإعراض ، و كثرة العناد و اللجاج ، فأبان أن هؤلاء كأنهم موتى ، فأنتى لك أن تسمعهم ، و كأنهم صم ، فكيف يسمعون دعاءك حتى يستجيبوا لك ؟ إنما الذى يستجيب من يؤمن بآيات الله ، فإذا سمع كتابه تدبره و فهمه ، فيخضع لك بطاعته و يتذلل لمواعظ كتابه .

### الإيضاح

( فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُذْرِبِينَ ) أى إنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم ، فليس لهم فهم ما يتلى عليهم من مواظ تنزيله ؛ كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم

أسماعا ، ولا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلّهم الله فهم آيات كتابه لسماعها وفهمها ، كما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلّهموا السمع - الدعاء إذا ولوا عنك مدبرين . ثم بين أن الهداية والضلالة بيد الله لا بيد الرسول ، فقال :

(وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم) أى ليس فى طوقك أن تهدى من أضله الله ، فترده عن ضلالتة ، بل ذلك إليه وحده ، فإنه يهذى من يشاء ، ويضل من يشاء ، وليس ذلك لأحد سواه .

والخلاصة : إن هذا ليس عمك ، وما بعثت لأجله .

ثم أكد ما سلف بقوله :

(إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أى لا تسمع السماع الذى ينتفع به سامعه فينبغه ، إلا من يؤمن بآياتنا ، لأنه هو الذى إذا سمع كتاب الله تدبره وفهمه ، وعمل بما فيه ، وانتهى إلى حدوده التى حدّها فيه ، فهو مستسلم خاضع له ، مطيع لأوامره ، تارك لنواهيّه .

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤) .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر دلائل الآفاق على وحدانيته أردفها بدلائل الأنفس ، فذكر خلق الأدمى ، وأطواره المختلفة من ضعف إلى قوة ، ثم انتكاسه وتغيير حاله من قوة إلى ضعف ، ثم إلى شيخوخة وهرم .

## الإيضاح

(الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) يقول سبحانه محتجا على المشركين المنكرين للبعث : إن الذى خلقكم من نطفة وماء مهين ، فأنشأكم بشرا سويا ، ثم جعل لكم قوة على التصرف من بعد ضعف الصغر والطفولة ، ثم أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر ، بعد أن كنتم أقوياء فى شبابكم - قادر أن يعيدكم مرة أخرى بعد البلى ، وبعد أن تكونوا عظاما نحرة .

والخلاصة : إن تنقل الإنسان فى أطوار الخلق حالا بعد حال من ضعف إلى قوة ، ثم من قوة إلى ضعف - دليل على قدرة الخالق الفعال لما يشاء ، الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولا يعجزه أن يعيدكم كرة أخرى .

(يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) أى يخلق ما يشاء من ضعف وقوة ، وشباب وشيب ؛ وهو العليم بتدبير خلقه ، القدير على ما يشاء ، لا يمتنع عليه شىء إرادته ، وهو كما يفعل عذا قادر على أن يمت خلقه ويحييهم إذا شاء .

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧)

## شرح المفردات

الساعة الأولى : يوم القيامة ؛ سميت بذلك لأنها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا ، ما لبثوا : أى ما أقاموا بعد الموت ، غير ساعة : أى غير قطعة قليلة من الزمان ؛

يؤفكون : أى يصرفون عن الحق ، المَعذِرَة : العذر ، يستعتبون : أى يطلب منهم إزالة عتب الله وغضبه عليهم بالتوبة والطاعة ، فإنه قد حق عليهم العذاب ، يقال : استعتبني فلان فأعتبته : أى استرضاني فأرضيته .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر فيما سلف بدء النشأة الأولى ، وذكر الإعادة والبعث ، وأقام عليه الأدلة فى شتى السور ؛ وضرب له الأمثال - أردف ذلك بذكر أحوال البعث وما يجرى فيه من الأفعال والأقوال من الأشقياء والسعداء ليكون فى ذلك عبرة لمن يذكّر .

### الإيضاح

( ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ) أى ويوم تجيء ساعة البعث فيبعث الله الخلق من قبورهم ، يقسم المجرمون الذين كانوا يكفرون بالله فى الدنيا ويكتسبون فيها الآثام ، إنهم ما أقاموا فى قبورهم إلا قليلا من الزمان ، وهذا استقلال منهم لمدة ابنتهم فى البرزخ على طولها ، وهم قد صرّفوا فى الآخرة عن معرفة مدة مكثهم فى ذلك الحين .

( كذلك كانوا يؤفكون ) أى كذبوا فى قولهم ما لبثنا غير ساعة ، كما كانوا فى الدنيا يحافون على الكذب وهم يعلمون . والكلام مسوق للتعجب من اغترابهم بزينة الدنيا وزخرفها ، وتحقير ما يتمتعون به من مباحها ولذاتها ، كى يقلعوا عن العناد ويرجعوا إلى سبل الرشاد ، وكأنه قيل : مثل ذلك الكذب العجيب كانوا يكذبون فى الدنيا اغتراباً بما هو قصير الأمد من اللذات ؛ وزخارف الحياة .

ثم ذكر توبيخ المؤمنين لهم وتهكمهم بهم :

( وقال الذين أتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث ) أى وقال

الذين أتوا العلم بكتاب الله والإيمان بالله لأولئك المنكرين : لقد لبثتم من يوم ماتكم إلى يوم البعث في قبوركم .

وفي هذا رد عليهم وعلى ما جلفوا عليه ، وإطلاع لهم على الحقيقة .

ثم وصلوا ذلك بتقريرهم على إنكار البعث بقولهم :

( فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون ) أى فهذا هو اليوم الذى أنكرتموه فى الدنيا ، وزعمتم أنكم لاتبعثون ، وكنتم لاتعتقدون أنه حق ، وأنه واقع لامحالة ، لتفريطكم فى النظر ، ومن ثم استعجلتم الاستهزاء به .

ولما كانت الأدلة متظاهرة على أن الدنيا دار عمل ، والآخرة دار جزاء ، ذكر أن المعاذير لاتجدى فى هذا اليوم ، ولا يجابون إلى ما طلبوا من الرجوع إلى الدنيا ، لإصلاح ما فسد من أعمالهم ، فقال :

( فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون ) أى فى هذا اليوم لاينفع هؤلاء المجرمين معاذيرهم عما فعلوا ، كقولهم : ما علمنا أن هذا اليوم كائن ولا أنا نبعث فيه ، ولاهم يرجعون إلى الدنيا ليتوبوا ، لأن التوبة لاتقبل فى هذا اليوم ، لأنه وقت جزاء لاوقت عمل ، وقد حقت عليهم كلمة ربهم .

والخلاصة : إنهم لايعتبون على سيئاتهم ، بل يعاقبون عليها .

ونحو الآية قوله : « وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ » .

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ  
لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى  
قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩) فَأَجِزْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ  
الَّذِينَ لَا يُؤْقِنُونَ (٦٠) .

## المعنى الجملى

بمد أن ذكر من الأدلة على الوحدانية والبعث ما ذكر ، وأعاد وكرر ، بشقى  
البراهين ، وبديع الأمثال - أردف ذلك بأنه لم يبق بعد هذا زيادة لمستزيد ، وأن  
الرسول صلى الله عليه وسلم قد أدى واجبه ، وأن من طلب شيئاً بعد ذلك فهو معاند  
مكار ، فإن من كذب الدلائل الواضح اللامح لا يصعب عليه تكذيب غيره  
من الدلائل .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

## الإيضاح

( ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ) أى ولقد أوحنا لهم الحق  
وضربنا لهم الأمثال الدالة على وحدانية الله ، والبعث وصدق الرسول ، ليستبينوا الحق  
ويتبعوه ، لكنهم أعرضوا عن ذلك استكباراً وعناداً .

( ولئن جئتكم بآية ليقولن الذين كفروا إن آتينا إلا بظنون ) أى وإن تأتتهم  
بالآيات لا يؤمنوا بها ، بل يعتقدون أنها سحر مفترى ، وماهى إلا أساطير الأولين .

ونحو هذا قوله : « **إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَذِبَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَوْ جَاءَتْهُمْ  
كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ** » .

( كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ) أى كذلك يعمى الله على قلوب  
الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتتهم به من العبر والعظات ، والآيات المبينات ، فلا يفقهون  
عن الله حججه ولا يفهمون عنه ما يتلى عليهم من آى كتابه ، لسوء استعدادهم ، ولما  
دسوا به أنفسهم من سوء القول والفعل ، فهم فى طغيانهم يعمهون .

ثم ختم السورة بأمر الرسول بالصبر على أذاهم ، وعدم الالتفات إلى عنادهم ، فقال :  
( فاصبر إن وعد الله حق ) أى فاصبر أيها الرسول على ما يذالك من

المشركين ، وبلغهم رسالة ربك ، فإن وعدة الذى وعدك من النصر عليهم وانظروهم ، وتمكينك وتمكين أصحابك وأتباعك فى الأرض - حق لاشك فيه ، وليكونوا لأمم لا محالة .

( ولا يستخفونك الذين لا يوقنون ) أى ولا يحملوك الذين لا يوقنون بالميعاد ولا يصدقون بالبعث بعد الممات - على الخفة والقلق ، فيثبطوك عن أمر الله والقيام بما كلفك به من تبليغ رسالته . وفى هذا إرشاد أنبيه صلى الله عليه وسلم ، وتعلم له ، بأن يتلقى المسكاره بصدر رحب ، وسعة حلم .

أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والحاكم والبيهقى أن رجلا من الخوارج نادى عليا وهو فى صلاة الفجر فقال : « وَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ سَعْيُكَ وَتَنْكُورُنَّ مِنْ أَنْفُسِهِمْ » فأجابه وهو فى الصلاة : « فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ » ولا عجب من صدور مثل هذا الجواب على البديهة من على كرم الله وجهه ، وهو مدينة العلم .

وصلى الله على سيدنا محمد وأتباعه الكرام ، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

## خلاصة ما احتوت عليه السورة الكريمة من الموضوعات

- (١) إثبات النبوة بالإخبار بالغيب .
- (٢) البراهين الدالة على الوحدانية .
- (٣) الاعتبار بما حدث للكاذبين من قبلهم .
- (٤) الأدلة التي في الآفاق شاهدة على وحدانية الله وعظيم قدرته .
- (٥) الأدلة على صحة البعث .
- (٦) ضرب الأمثال على أن الشركاء لا يُجدونهم قتيلاً ولا قطعيراً .
- (٧) الأمر بعبادة الله وحده ، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها .
- (٨) النهى عن اتباع المشركين الذين فرقوا دينهم على حسب أهوائهم .
- (٩) من طبيعة المشرك الإنابة إلى الله إذامسه الضر ، والإشراك به حين الرخاء .
- (١٠) من دأب الناس الفرح بالنعمة والقنوط حين الشدة . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات .
- (١١) الأمر بالتصدق على ذوى القربى والمساكين وابن السبيل .
- (١٢) الدلائل التي وضعها سبحانه في الأنفس شاهدة على وحدانيته .
- (١٣) للتخير والشر فائدة تعود إلى المرة يوم تجزى كل نفس بما كسبت .
- (١٤) في النظر في آثار المكذبين عبرة لمن اعتبر .
- (١٥) تسلية الرسول في عدم إيمان قومه بأنهم سمعوا لا يسمعون ولا يبصرون .
- (١٦) بيان أن الكافرين يكذبون في الآخرة كما كانوا يكذبون في الدنيا .
- (١٧) الإرشاد إلى أن الرسول قد بلغ الغاية في الإعذار والإنذار ، وأن قومه قد بلغوا الغاية في التكذيب والإنكار .
- (١٨) أمره صلى الله عليه وسلم بإدامة التبليغ مهما لاق من الأذى ، فإن العاقبة والنصر له ، والخذلان لمن كذب به .